

أيها الشباب !

لبول بورجيه

بمناسبة وفاته في ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٥^(١)

ترجمة الأستاذ عبد الحليم الجندى

انكسرت في حرب السبعين ، وأن الأزمة الفرنسية إنما هي أزمة
نفسية عبر عنها ديغاس حينما قال : « ... حذار ... حذار ...
إنها برهة عجيلى ما أسرع أن تفوت ... تلك البرهة التى
يمكن أن يكون فيها الفتى حساساً كله عواطف ، أو متشككاً
أو ساخراً أو مهذاراً . أما الله ، وأما الطبيعة ، أما العمل والزواج
والحب والبنون ، فأولئك أمامك دائماً ... أولئك يجب أن
يحياوا أو أن تموت ... »

بلى : هذا الجيل الذى أنا منه والذى زحرت نفسه بالآمال
الجسام ، كم جاهد لمجد فرنسا ! . إن نفسى لتذوب حشرات
كلما تذكرت أن رجال السلطة قد تخلوا عنا فى غضون هذا الجهاد
الماصف ، وأن الطبقة الوسطى هى التى غدت فرنسا فى العشرين
طاماً بالماضى بالقادة والساسة والفنانين العباقرة حتى ليتساءل المرء :
« ما أقدر هذا الفلك الفرنسى السيار ! ما أكبر حيوية هذه الأمة
الفرنسية ! إن خُططاها لانتفى حيث كانت تهلك أية أمة أخرى ! »
هذه الطبقة الوسطى التى شهدت بعض الزعماء يضحون
بالمعزى عليها من العقائد باسم الحرية ، ودجاجة سياسيين يلعبون
على الاقتراع العام فيسمو التذجيل بكفائاتهم المتواضعة إلى أسنى
الدرجات ... كم تحملت لتبعث فرنسا فى العوالم من جديد .. !
ولئن خطر الجند الفرنسيون ذهاباً وجيئة ، أو أضمرت الحكومات
لنا الاحترام ، أو تقدم التعليم العالى ، أو كانت الآداب الفرنسية
ما برحت تحمل لفرنسا لواء العبقرية والمجد ، فلهذه الطبقة الوسطى
تلك اليد العليا ...

كيف تحيا بك فرنسا وتنهض ؟ هذه مسألة الساعة

لأنك لا تتذكر سور أولئك الخيالة البروسيين وهم يتبخثون
على أرض فرنسا ، يهزون أعطافهم كبرياء ، ويصمرون خدودهم
صلفاً ؛ أما نحن فنعلم غصصنا بهذه الرؤى .. وما كنا نحسب أن
الصلح يحجوها من الأحلام ، أو أنه سيسوى أسباب الخصام والسلام
إننى أعلم أنك على استعداد لتهب فى سبيل الوطن روحك ،
لكن ليس هذا الفخر ، ولا يكفى أن تعلم كيف تموت ، بل يجب
أن تعلم كيف تحيا ...

هل لك مثل أعلى من أمثالنا العليا ؟ أفيك إيمان أقوى مما
تنطوى عليه أضالعنا ؟ هل لك آمال دونها آمالنا ؟ ...
إن كان الجواب نعم ، فشكراً

اليكم هذا الكتاب يا شباب الوطن ، الذين تتراوح أعماركم
بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين ، والذين تبحثون فى
مؤلفاتنا عن جواب عن المسائل الآخذة عليكم مذاهب التفكير ،
أما الجواب فيعتمد قليلاً على حياتكم المعنوية ، حياة فرنسا
ذاتها ، فلسوف تسيطرون فى العشرين سنة المقبلة على مصائر هذه
الأمة المعجوزة أمنا جميعاً

ماذا حصلتم من مؤلفاتنا ؟ هذا سؤال يخاف الكتاب
الزيمون من تبعاته ...

فى كتاب « التلميذ »^(٢) بحث لهذه التبعات ، وفيه دليل على
أن الصديق الذى بطالك وأنت تطالعه إنما يماؤه إيمان عميق
بسلطان الأدب ، ودليل آخر على أنه يفكر فيك أيام درجت تتعلم
الهجاء ، أيام كنا نحن كاسفى الببال نوقع ألحان قريضا الناشئ
على رنين المدافع الفاعرة أفولها على باريس ، أيام كان كبارنا
فى صفوف الحركة ، وكنا نحن الصغار فى صفوف الجامعة ، تروح
ضاهراً تحت عب فادح هو إحياء فرنسا

كنا نناجيك يا شباب اليوم بما نلجأ به بانثيل : « أقبولوا
أيها الفيلق المبارك ، يا شباب الأيام التى لم تنفرط من عقد الزمان
بعد ، أقبولوا كالفجر الطالع ، واملأوا آفاق الورى بالنور ... »
كنا نتمنى أن يشرق فجركم وضياء يغمر الورى إشراقاً ،
فلقد كان فجرنا يحتقق بينخار الدم الذى يسم الأفق ، وكنا
نعرف أن علينا أن نعيد لكم فرنسا سيرتها الأولى ؛ ولئن كنا
صغاراً فلقد كنا نعلم أن أفضل ما علمنا أسانذتنا هو « أن الظافر
أو الخذلان فى الخارج إنما هما مظهر المنعة أو الانحلال الداخلى »
كنا نعلم أن نهضة ألمانيا فى فاتحة القرن لم تكن إلا عملاً
من أعمال (النفس) ، وكنا نعلم أن النفس الفرنسية هى التى
(١) انظر البريد الأدبى فى هذا العدد (٢) أحد كتب بول بورجيه

إن نعمة حقيقة لا صراء فيها لأنها بين الضلوع ، تبصرونها
وتحسون بها : تلك هي النفس . وإن من الفكر التي تسيطر على
أذهانكم لأفكاراً تضاف من قوى الإرادة والحبة ، فاعلموا أنها
أفكار زيوف بهما طلاها السحر بالألوان . وزيدوا « الحبة
والإرادة » نماء فليس سواهما إلا عار دائم وعذاب مقيم
واعلموا أن العلم الصحيح اليوم يعرف أن حدود « العالم
المجهول » تتأخم حدوده - وكما قال ليريه : هذا بحر فامض تلاطم
شواطئنا لجأته ، تشهد نواظرننا والهبة ، لا زورق يسبح بنا فيه
ولا شراع فقولوا للأولى زعموا أن عنده الظلمات والهاوية :
« إنكم لا تعرفونه »

وما دامت في جنوبكم هذه النفس فتعهدوها .
إن فرنسا تريد من كل فرنسي أن يفكر فيها ؟
باريس في ٥ يونيو سنة ١٨٨٩

قيمة الاشتراك في كتاب :

وحى القلم

فتحتنا باب الاشتراك في هذا الكتاب ولم نعلم عنه
إلا في « الرسالة » وحدها إذ الفرض منه إكرام قرائها ،
وخصوصاً الطلبة منهم ، وعلى الأخص طلبة الأزهر ودار
العلوم ، ليتمكن هؤلاء وهؤلاء من إقتناء الكتاب
بشمن بخس

وقد سألنا جماعة من حضرات الطلبة مد الاشتراك
إذ كان الأزهر معطلاً في شهر رمضان وكانت المدارس
معطلة بالاضطراب السياسي . فاجابة لطلبهم سيكون
الاشتراك إلى منتصف هذا الشهر (يناير) بمشرين قرشاً
غير أجرة البريد ، وهي ثلاثة لداخل القطر
ومن منتصف يناير إلى آخر الشهر يكون الاشتراك

بثلاثين قرشاً . ثم لا يقبل اشتراك بعد ذلك البتة

والكتاب جزءان في نحو ٨٠٠ صفحة ؛ وبريل
الاشتراك إلى طنطا باسماً ؛ والمقيمون في القاهرة بشركون
من إدارة (الرسالة) مصطفى صادق الرافعي

وان كان الجواب لا ...

ان كان الجواب لا ...

ان كان الجواب لا : فان من شباب هذا الجيل طرازين كلاهما
ثرى وكلاهما مشنوم

أما الأول فهو ذلك المرح المستهتر بالأشياء ، الذي همه
وركب مناه في الدنيا أن يستمتع ، وعلى الأصح أن يصل وأن
ينجح ، فإذا كان سياسياً أوجع أعمال أو أدبياً أو محامياً أو
فناناً أو ضابطاً فاعلم « ذاته » هي الأمل المشتوى ، وهي المبدأ
والمنتهى ؛ يندفع في تطبيق قانون تنازع البقاء على اساليب
عيشه وكفاحه اندفاعاً بربرياً ؛ هو لا يهوى من الحياة إلا النجاح ،
ولا من النجاح إلا المال ؛ ولقد يقرأ ما أكتب كما يقرأ كل
شيء ليكون فقط « ... مع الدنيا ... » ؛ ولقد يرمي بأنى أهزأ
بالجمهور وما أنا إلا صورة منه ؛ طراز إباحت في كل شيء ؛ ليس
المثل العالي لديه إلا فكاهة ، فإذا مارس الديمقراطية مثلاً فليتبوأ
مقعمه في مجلس النواب ... أو ليس ذلك الشيطان الرجيم ؟ ...
هذا الذي لم يقطع من مراحل الحياة خمساً وعشرين مرحلة
وليمت نفسه إلا « عداداً » لحساب المذات

ثم أرايت إلى ذلك الآخر الأخلق بالزراية والمقت ، هذا
طراز قد اجتمعت له أرستقراطية الأعصاب والصلف ، أبيقورى
مذهب على تقيض الأول ؛ فذلك أبيقورى متوحش ، وهذا
الأرستقراطي إباحت لبق ؛ طافت كل الأفكار برأسه ، فلا تحده
من التجديف أو من المادية ، فان للمادة عنده معنى غير
ذى حدود ... هو أنفذ بصيرة من أن يجهل أن كل دين دانت
له الدنيا في إبانته ... هو لا يدين إلا « لذاته » ... ليس الخير
ولا الشر ، ولا الجلال ولا القبح أموراً ذات بال تمنيه ، وإنما نفسه
(أداة) متعلمة يلتذ بتجربتها وتمطيل مزاياها كأنها موضوع
تجارب ، لا يفقه في الحق ولا في الباطل ولا في الإنسانية ولا في
الهيمنية ، بل كما قال (بارس) تناهت به شهواته إلى عبادة ذاته
أولذاته

لا تكونوا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء أيها الفتيان

لا إلى الواقعيين المفرطين في عالم الحس ، ولا إلى المتفهمين
المستهترين في عالم العقول ؛ ولا يركبنكم شيطان الغرور فيذلنكم
للكبرياء والشموذة ، بل عليكم أن تجعلوا شعاركم : « إنما يحكم
على الشجرة بما تؤتي من ثمار »